

ذِكْرُ الْهَجْرَةِ

لِلْإِمَامِ الْمَسْلُومِ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ مَصْطَفَى الْمِرَاغِيِّ

شَيْخِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ



في مستهل
هذا الشهر العظيم
بذكراه، أذعت على
العالم الإسلامي
نجوى لصاحب
الهجرة صلوات الله
وسلامه عليه، كان
فيها تذكرة وفيها
بلاغ. وليس شيء
أحب إلى نفسي من
إعادة هذا الحديث،

فإن التذكير بسيرة رسول الله، وبهجرته في سبيل الله، شفاء للقلوب، وجلاء لربن القلوب، وقوة لضعف الأنفس
إن دعوة الرسول الأعظم كانت في مكة أشبه بالغيث أنزله الله
في بياب الفقر، ففاض بمضه في سبخ الأرض، واحتبس بمضه
في أصلاذ الصخور، ثم نقس الله عنه من شدة الضيق والحصر
فانبثقت عنه الحواجز الصم، فجرى سيولاً في السهول والأودية،
وتشعبت بناييع في القرى والدائن، يحمل الحصب والتماء، ويوزع
الرى والنذاء، فأحيا موات الأرض، وروى غلة الناس، وكان
منه العارة والحضارة والخير

نعم كانت هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة
هي هذا الانبثاق الذي انساح به الإسلام في أقطار الأرض يحمل
الهدى للأرواح الحائرة، والسلام للنفوس المحروبة، والألفة للقلوب
المختلفة، فسارت الإنسانية في طريق الحياة على ضوئه، تنعم بالإخاء
في الدين، وتتمتع بالمساواة في الشريعة؛ فلا عصبية تزرع الأحقاد

وتنشر الفرقة، ولا امتياز في المجلس أو في اللون أو في الثروة
يوجب الاستبداد ويقتضى الظلم. وحمل خلفاء الرسول رضوان الله
عليهم أجمين مصباح الهداية وزمام القيادة من بعده؛ ثم استاروا
بسيرته، واستنوا بسنته، فأورثهم الله ملك الأرض، وملكهم مقادة
العالم، فقادوه على بصيرة وساسوه عن دراية؛ فكان كتاب الله
هو الدستور، وحكمه هو القاضي، وسنة رسوله هي الخطة. فلما
ابتعد المسلمون عن مشرق النور وأعرضوا عن الله كركر، غشيتهم
النواشي فضلوا وجهة أمرهم، وجهلوا غاية قصدهم، ونفروا شيعاً
في الضلال، وتدققوا أحزاباً في الباطل، وأصبح كلام الله
على ألسنتهم ألفاظاً لا معاني لها ولا رجع منها، فأقلت من أيديهم
زمام الأمر، وسلب الله من أعدائهم الرعب منهم، فتعقروا
إلى مؤخرة الركب، وساروا أتباعاً بعد أن كانوا أئمة، وأمهالاً
بعد أن كانوا سادة. كل ذلك والإسلام هو الإسلام، أنواره لألاءة
لا تخبو، ومثابه كثر لا تنضب؛ ولكن المسلمين نسوا الله
فأنساهم أنفسهم، واستمزوا بغير سلطنة فوكلمهم إلى غير راحم
أشهد أن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله:
رجوع إلى الله في أمره ونهيه، ورد الخلف إلى تنزيله ووحيه،
وتأليف القلوب على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة. وفي يقيني
أن الضال متى أدمت قدميه وعورة الطريق، وأمهكت قواه
مشقة الحيرة، عاد يلتمس الهدى من مصدره، ويتقن التصدق
من دليله. فالإسلام كما كان البدأ سيكون الماد، وكما أُنقذ العالم
في الأولى سينقذهم في الثانية. وما دام الله عز اسمه قد ختم به الوحي
فلا بد أن يجدد حبله كلما رث ليمتصم به اللاجئ ويجمع عليه
الشئيت ويقىء إليه الشارد.

إن آية الهجرة التي ظهر بها الإسلام وعلا فيها الحق هي الإخلاص
للعقيدة والتضحية للبدأ والمصارفة في الجهاد والمؤاخاة في الله. وهذه
الصفات التي زود الله بها رسوله الكريم لتبليغ رسالته وتمكين
أمره، هي عدة كل دعوة ووسيلة كل نهضة؛ وبدونها لا يتفق رأى
ولا يجمع كلمة ولا تؤدي سياسة. يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله
وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين الرء وقلبه،
وأنه إليه تحشرون. يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) أسأل الله للمسلمين عامة ولهذا البلد
خاصة هدياً وسداداً، وعوناً وإسعاداً، وألفة واتحاداً، إنه واسع
الفضل عظيم الطول سميع الدعاء.

محمد مصطفى الميرغاني